

(٩)



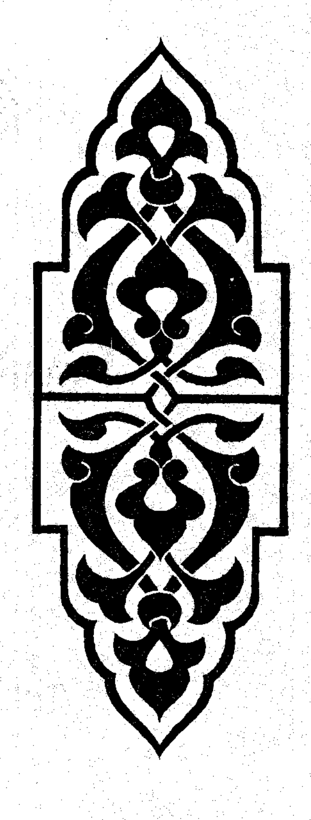
المكية الطاهرة، الولود الودود

إبراهيم محمد حسن الجمل

دار الفضيلة

بسم الله الرحمن الرحيم

أُمُّ هَانِئٍ (رَضِىَ اللَّـهُ عَنْهَا)



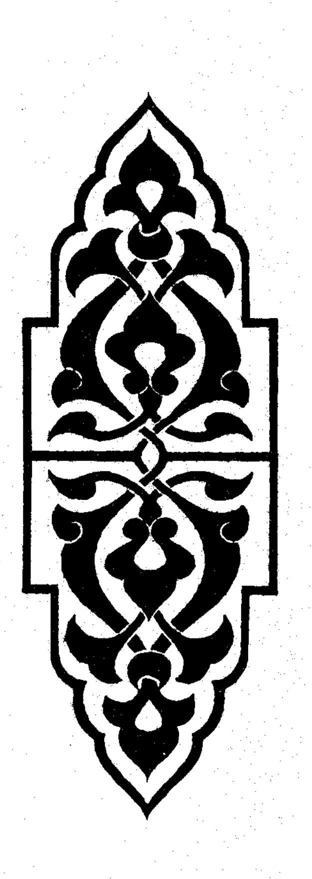
أُم هَانِـئٍ : غَلَبَتْ هَذِهِ الكُنْيَةُ(١) عَلَى اسْمِهَا ، فَصَارَتْ تُنَادَى بِهَا ، وَمِنَ الَّذِينَ كَانُوا دَائِماً يُنَادُونَهَا بِهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ، وَاسْمُهَا (فَاخِتَةُ) وَرُبَّمَا اسْتُثْقِلَ النِّدَاءُ بِهَذَا الاسْم ، فَكَانُوا يُطْلِقُونَ عَلَيهَا اسم (هِنْد) ، وَقَد قَامَتْ بِدَوْرٍ كَبِيرٍ فِى حَيَاةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَكَانَتْ أَوْلَى بِالذِّكْرِ وَالْعِنَايَةِ ، فَهِىَ قُرَشِيَّةٌ هَاشِمِيَّةٌ مِنْ أَشْرَافِ مَكَّةَ(٢) .

أَبُو أُم هَانِـئٍ : هُوَ أَبُو طَالِبِ بن عَبْدِ المُطَّلِبِ عَمُّ مُحَمَّدٍ ﷺ بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ ، وَهُوَ سَيِّدٌ مِن سَادَاتِ قُرَيْشٍ ، وَمِنْ عُظَمَائِهَا فِى الجَاهِلِيَّة ، ولى كَفَالَةَ مُحَمَّدٍ ﷺ ابن أَخِيهِ عَبْدِ اللهِ بَعْدَ مَوْتِ جَدِّهِ عَبْدِ المُطَّلِبِ ، كَمَا وَصَّى بِذَلِكَ ، وَكَانَ مُحَمَّدٌ ﷺ

---

(١) **تعريفُ الكُنيَة** : هى ما بدأتْ بأَب أَو أُمّ : أبو عليّ ، وأُمّ عليّ مثلًا .

(٢) **قريش** : قَبِيلَةٌ عَاشَتْ بمَكَّةَ وإليها ينتسب سادة مكة .



فِى الثَّامِنَةِ مِنْ عُمْرِهِ ، وَكَانَ جَدُّهُ قد مَاتَ وَمُحَمَّدٌ ﷺ فِى هَذَا العُمْرِ .

نَفَّذَ أَبُو طَالِبٍ وَصِيَّةَ أَبِيهِ عَبْدِ المُطَّلِبِ ، وَأَنْزَلَ مُحَمَّداً ﷺ مَنْزِلَةً لَمْ يُنْزِلْ إِلَيْهَا أَحَداً مِنْ أَبْنَائِهِ .

وَذَاتَ يَوْمٍ وَمُحَمَّدٌ ﷺ لَمْ يَتَجَاوَز العَاشِرَة صَحبَهُ أَبُو طَالِبٍ إِلَى الشَّامِ للتِّجَارَةِ ، فَلَمَّا نَزَلَ قَرْيَةَ (بَصْرَى) مِنْ أَرْضِ الشَّامِ ، خَرَجَ الرَّاهِبُ بُحَيْرَى مِنْ صَوْمَعَتِهِ الَّتِى يَتَعَبَّدُ فِيهَا ، وَنَادَى : يَا مَعْشَر قُرَيْشٍ قَد صَنَعْتُ لَكُمْ طَعَاماً ، وَأُحِبُّ أَن تَحْضرُوا كُلُّكُمْ .

قَالَ أَبُو طَالِبٍ : يَا بُحَيْرَى وَاللهِ مَا كُنْتَ تَصْنَعُ هَذَا بِنَا وَقَد كُنَّا نَمُرُّ بِكَ كَثِيراً ! فَمَا شَأْنُكَ اليَوْمَ ؟

قَالَ بُحَيْرَى : صَدَقْتَ يَا أَبَا طَالِبٍ ، لَقَد أَحْبَبْتُ أَنْ أَصْنَعَ لَكُمْ طَعَاماً ، فَتَأْكُلُونَ مِنْهُ كُلُّكُم .

وَلَمَّا جَلَسَ النَّاسُ أَخَذَ يَتَفَرَّسُ [1] بُحَيْرَى وُجُوهَهُم .

فَقَالَ لَهُ أَبُو طَالِبٍ : مَا بِكَ؟ وَعَمَّن تَبْحَثُ يَا بُحَيْرَى ؟

فَقَالَ بُحَيْرَى : أَلَمْ يَتَخَلَّفْ أَحَدٌ مِنْكُم عَن طَعَامِى ؟

قَالُوا : لَمْ يَتَخَلَّفْ عَنْكَ إِلَّا غُلَامٌ صَغِيرٌ ، فَتَخَلَّفَ فِى رَحْلِنَا .

فَقَالَ بُحَيْرَى : ادْعُوهُ ... ادْعُوهُ ... فَلْيَحْضر هَذَا الغُلَامُ مَعَكُمْ .

---

(١) **يتفرس** : ينظر إليهم بإمعان وتمحيص .

مُحَمَّـدٌ الصَّغِـيرُ ﷺ وَبُحَـيْرَى

نَهَضَ أَحَدُ الرِّجَالِ ، وَأَحْضَرَ مُحَمَّداً ﷺ ، وَسُرَّ الرَّاهِبُ بِرُؤْيَتِهِ وَقَالَ : تَعْلَمُ يَا أَبَا طَالِبٍ أَنِّى مِنْ عُلَمَاءِ النَّصَارَى وَرُهْبَانِهِمْ وَقَدْ اطَّلَعْتُ عَلَى كُلِّ كُتُبِهِمْ، وَلَزِمْتُ صَوْمَعَتِى هَذِهِ مُنْذُ زَمَنٍ بَعِيدٍ ...

قَالَ أَبُو طَالِبٍ : أَعْلَمُ هَذَا ، وَلَا تَمُرُّ بِنَا مُنَاسَبَةٌ هُنَا إِلَّا وَنَرَاكَ ، فَنَحْنُ نَعْرِفُكَ جَيِّداً .

اقْتَرَبَ بُحَيْرَى مِن مُحَمَّدٍ ﷺ ، وَرَاحَ يَلْحَظُهُ (١) لَحْظاً شَدِيداً ، وَيَنْظُرُ إِلَى أَشْيَاءَ مِن جَسَدِهِ ، حَتَّى إِذَا فَرَغَ القَوْمُ مِنْ طَعَامِهِمْ .

قَالَ بُحَيْرَى : يَا مُحَمَّدُ ... أَتُحِبُّ العُزْلَةَ .

قَالَ مُحَمَّدٌ ﷺ : نَعَمْ .

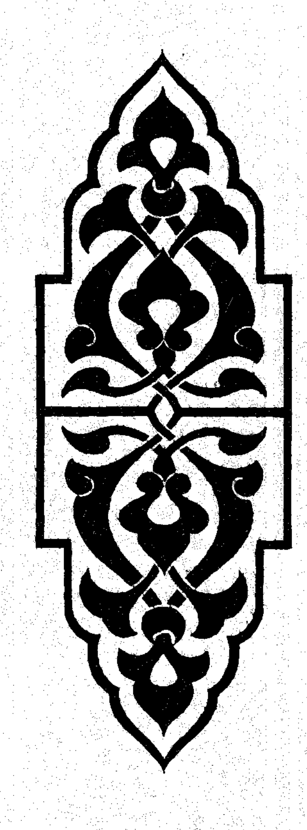
قَالَ بُحَيْرَى : أَتَتَأَمَّلُ فِى السَّمَاءِ وَالنُّجُومِ ؟

قَالَ مُحَمَّدٌ ﷺ : نَعَمْ .

قَالَ بُحَيْرَى : أَتَلْعَبُ مَعَ الغِلْمَانِ كَمَا يَلْعَبُونَ ؟

قَالَ مُحَمَّدٌ ﷺ : كَلَّا .

وَجَعَلَ بُحَيْرَى يُكْثِرُ مِنْ أَسْئِلَتِهِ ، ثُمَّ نَظَرَ إِلَى ظَهْرِهِ ، فَرَأَى خَاتَماً بَيْنَ كَتِفَيْهِ عَلَى مَوْضِعِهِ مِن صِفَتِهِ الَّتِى عِنْدَهُ .



---

(١) **يلحظه** : ينظر إليه بدقة .

الْتَفَتَ بُحَيْرَى إِلَى أَبِى طَالِبٍ وَقَالَ لَهُ : مَا صِلَةُ هـذَا الغُـلَامِ بِكَ ؟

قَالَ أَبُو طَالِبٍ : إِنَّهُ ابنُ أَخِى عَبْد اللهِ ، وَقَد مَاتَ ، وَهَـذَا الغُـلَامُ فِى بَطْنِ أُمِّهِ ، ثُمَّ كَفلتْهُ أُمُّهُ وَجَـدُّهُ عَبْـدُ المُطَّلِب ، ثُمَّ مَاتَتِ الأُمّ وَالجدُّ ، وَهُـوَ الآن فِى كفَالتى وَرِعَايَتِى وَعِنَايَتِى .

قَالَ بُحَيْرَى : صَدَقْتَ ارْجِعْ بابْنِ أَخِيكَ إِلَى بَلَدِهِ ، وَاحْـذَرْ عَلَيْـهِ مِنَ اليَهُـودِ ، فَوَاللهِ لَئِن رَأَوْهُ ، وَعَـرَفُوا مَا عَرَفْتُ ، فَسَوْفَ يَتَخَلَّصُونَ مِنْهُ ، لأَنَّهُ سَيَكُونُ مِنْ أَلَدِّ أَعْدَائِهِمْ ، وَسَيَكُونُ لابْنِ أَخِيكَ شَأْنٌ عَظِيمٌ ، إِنَّنَا نَجِدُ هَذَا فِى كُتُبِنَا وَمَا رَوَاهُ لَنَا عُلَمَاؤُنَا وَآبَاؤُنَا .

قَالَ أَبُو طَالِبٍ : شَأْنٌ عَظِيمٌ لابْنِ أَخِى هَذَا .

قَالَ بُحَيْرَى : نَعَمْ لابْنِ أُخِيكَ هَذَا ... ثُمَّ قَبَّلَ رَأْسَ مُحَمَّدٍ ﷺ .

رَجَعَ أَبُو طَالِبٍ بابْنِ أَخِيهِ ، وَازْدَادَتْ عِنَايَةُ عَمِّهِ بِهِ ، وَصَارَ لَا يُفَارِقُهُ ، بَلْ كَانَ يَصْحَبُهُ فِى غُدُوِّه وَرواحِهِ ، وَلَهُ مَوَاقِفُ عَظِيمَةٌ مَعَهُ حِينَمَا أَرْسَلَهُ رَبُّهُ إِلَى العَالَمِينَ ، وَظَلَّ يُدَافِعُ عَنْهُ حَتَّى مَاتَ أَبُو طَالِبٍ (١) .

★ ★ ★

أُمُّهَا : هِىَ فَاطِمَةُ بِنْتُ أَسَدٍ ، وَهِىَ قُرَشِيَّةٌ هَاشِمِيَّةٌ ، زَوْجُ أَبِى طَالِبٍ ، كَانَتْ تُحِبُّ رَسُولَ اللهِ ﷺ حُبًّا

---

(١) راجع : (البداية والنهاية ٢/٢٨٣ ، ٢٨٦) .

شَدِيداً ، كَانَتْ تُفَضِّلُهُ عَلَى أَبْنَائِهَا حِينَمَا آلَتْ كَفَالَتُهُ إِلَى أَبِى طَالِبٍ ، فَكَانَتْ تَرْعَاهُ وَتُحَافِظُ عَلَيْهِ .

كَانَ إِذَا وُضِعَ الطَّعَامُ وَجَلَسَ مُحَمَّدٌ ﷺ مَعَ أَبْنَائِهَا رَأَتْ أَنَّ أَوْلَادَهَا يَتَغَلَّبُونَ عَلَيْهِ فَلَا يُبْقُونَ لَهُ شَيْئاً ، فَأَفْرَدَتْهُ بِطَعَامِهِ .

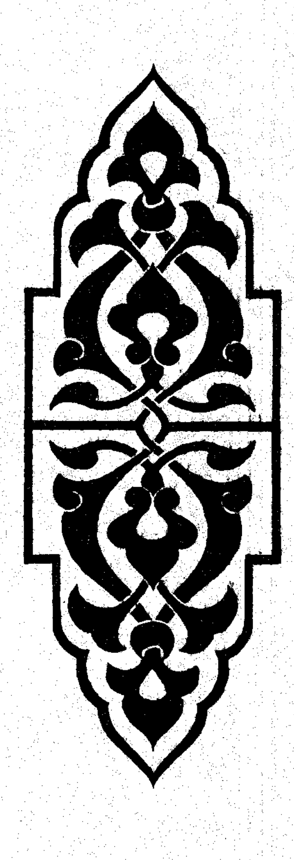
وَكَانَتْ مُؤْمِنَةً إِيمَاناً كَامِلًا بِكُلِّ مَا جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَأَسْلَمَتْ وَحَسُنَ إِسْلَامهَا .

وَلَمَّا هَاجَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى المَدِينَةِ ، وَكَانَ أَبُو طَالِبٍ قَد تُوُفِّىَ ، هَاجَرَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ أَسَدٍ (رَضِىَ الله عنهَا) ، فَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَزُورُهَا وَيُقِيمُ فِى بَيْتِهَا ، وَلَمَّا مَاتَت كَفَّنَهَا فِى قَمِيصِهِ وَقَالَ : « لَمْ نَلْقَ بَعْدَ أَبِى طَالِبٍ أَبرَّ بِى مِنْهَا »[1] .

وَصَلَّى عَلَيْهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ، وَنَزَلَ فِى قَبْرِهَا ، وَسَوَّى لَهَا مَكَانَهَا ، وَخَرَجَ مِن القَبْرِ ، والدُّمُوعُ تَتَسَاقَطُ مِنْ عَيْنَيْهِ ، فَلَمَّا رَآهُ عُمَرُ بنُ الخَطَّاب (رَضِىَ الله عنهُ) قَالَ : فَعَلْتَ يَا رَسُولَ اللهِ شَيْئاً لَمْ تَفْعَلْهُ مِن قَبْلُ عَلَى أَحَدٍ .

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « يَا عُمَرُ ... إِنَّهَا كَانَتْ أُمِّى بَعْدَ أُمِّى الَّتِى وَلَدَتْنِى »[2] .

رَحِمَهَا الله وَرَضِىَ عَنْهَا .



---

(١) رواه الطبراني في « الكبير » و « الأوسط » ورجاله موثقون « مجمع الزوائد » (٩/٢٥٩) .

(٢) بنحوه عند الطبراني في « الأوسط » وفي سنده جهالة كما في « مجمع الزوائد » (٩/٢٦٠) .

رَدُّ الجَمِيل

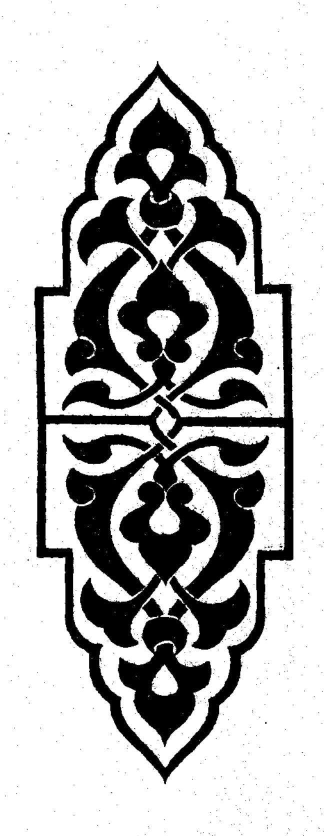
لَمْ يَنْسَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَا صَنَعَهُ عَمُّهُ أَبُو طَالِبٍ ، وَزَوْجَتُهُ فَاطِمَةُ بِنْتُ أَسَدٍ (رَضِىَ الله عنهَا) أَيَّام كَفَالَتِهِ لَهُ ، فَلَمَّا تزَوَّجَ السَّيِّدَة خَدِيجَةَ بِنْت خُوَيْلِدٍ (رَضِىَ الله عنهَا) ، وَتَاجَرَ وَأَصْبَحَ فِى بَحْبُوحَةٍ مِنَ العَيْشِ ، وَمَرَّت بِقُرَيْشٍ أَزْمَةٌ شَدِيدَةٌ ، وَكَانَ مِن ضَحَايَاهَا عَمُّهُ أَبُو طَالِبٍ ، وَكَانَ كَثِيرَ النَّفَقَةِ ، كَثِيرَ الأَوْلَادِ ، فَقَالَ مُحَمَّدٌ ﷺ لَعَمِّهِ العَبَّاسِ وَكَانَ مِنْ بَنِى هَاشِم : يَا عَمَّاهُ إِنَّ أَخَاكَ أَبَا طَالِبٍ كَثِيرُ العِيَالِ ، وَقَد أَصَابَ النَّاسَ مَا تَرَى مِنْ هَذِهِ الأَزْمَةِ ، فَانْطَلِقْ بِنَا فَلْنُخَفِّفْ عَنْهُ مِنْ عِيَالِهِ ، آخُذُ مِن بَنِيهِ رَجُلًا ، وَتَأْخُذُ أَنْتَ مِن بَنِيهِ رَجُلًا ، فَنُخَفِّفُ عَنْهُ شَيْئاً مِمَّا نَزَلَ بِهِ .

قَالَ العَبَّاسُ بنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ : نَعَمْ يا ابْنَ أَخِى .

وَانْطَلَقَ الاثْنَانِ إِلَى بَيْتِ أَبِى طَالِبٍ ... ثُمَّ قَالَا : إِنَّا نُرِيدُ أَن نُخَفِّفَ عَنْكَ عِيَالَكَ حَتَّى يَنْكَشِفَ عَنِ النَّاسِ مَا هُمْ فِيهِ .

فَقَالَ لَهُمَا أَبُو طَالِبٍ : إِذَا تَرَكْتُمَا لِى عُقَيْلًا ، فَاصْنَعَا مَا شِئْتُمَا .

أَخَذَ مُحَمَّدٌ ﷺ عَلِيًّا فَضَمَّهُ إِلَيْهِ ، وَأَخَذَ العَبَّاسُ جَعْفَر فَضَمَّهُ إِلَيْهِ ، وَتَرَبَّى عَلِىٌّ بنُ أَبِى طَالِبٍ فِى بَيْتِ مُحَمَّدٍ ﷺ ابن عَمِّهِ عَبْدِ اللهِ حَتَّى كَبِرَ وَأَصْبَحَ



مَسْئُولًا عَن نَفْسِهِ ، ثُمَّ زَوَّجَهُ (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) ابْنَتَهُ فَاطِمَةَ (رَضِيَ الله عنهَا) .

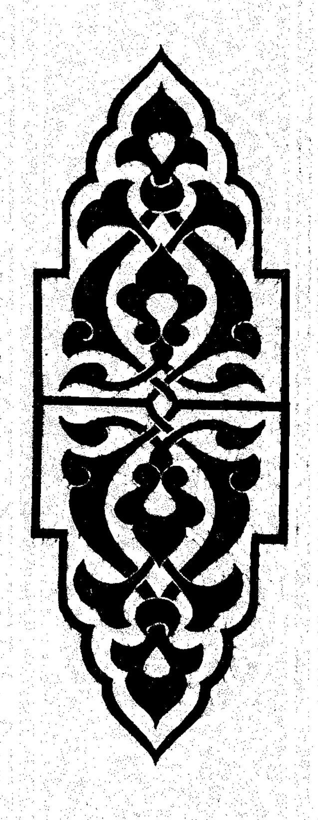
مُحَمَّدٌ ﷺ وَابْنَةُ عَمِّهِ

كَانَ مُحَمَّدٌ ﷺ يَعِيشُ فِي بَيْتِ عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ ، وَكَانَتْ تَعِيشُ مَعَهُ طِفْلَةٌ هِيَ أُمُّ هَانِئٍ ، وَكَانَتْ أَكْبَرَ مِنْ أَخِيهَا عَلِيٍّ ، وَأَصْغَرَ مِن مُحَمَّدٍ ﷺ ، فَلَمَّا تَجَاوَزَتِ العَاشِرَةَ ، وَصَارَتْ صَبِيَّةً ، أَقْبَلَ الخُطَّابُ إِلَى أَبِي طَالِبٍ ، يَخْطُبُونَ أُمَّ هَانِئٍ وَتَقَدَّمَ مَعَهُم مُحَمَّدٌ ﷺ ابنُ عَمِّهَا ، وَلَكِنَّ أَبَا طَالِبٍ فَضَّلَ عَلَى الجَمِيعِ هُبَيْرَةَ بن أَبِي وَهْبٍ المَخْزُومِيَّ .

وَلَمْ يَسْتَسْلِمْ ابنُ أَخِيهِ ، فَقَالَ لِعَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ : يَا عَمِّ زَوَّجْتَ هُبَيْرَةَ وَتَرَكْتَنِي !

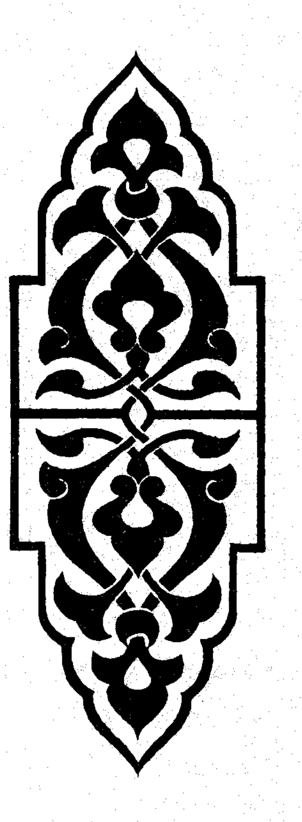
فَقَالَ أَبُو طَالِبٍ : يَا ابْنَ أَخِي ! إِنَّا قَد صَهَرْنَا إِلَيْهِمْ ، وَالْكَرِيمُ يُكَافِئُ الكَرِيمَ .

ثُمَّ تَزَوَّجَ مُحَمَّدٌ ﷺ خَدِيجَةَ بِنْتَ خُوَيْلِدٍ (رَضِيَ الله عنهَا) ، وَفَرِحَ بِهَذَا الزَّوَاجِ عَمُّهُ أَبُو طَالِبٍ ، وَرَأَى أَنَّ هَذَا الزَّوَاجَ هُوَ الَّذِي يَلِيقُ بابنِ أَخِيهِ ، فَهِيَ غَنِيَّةٌ ، وَلَهَا مَكَانَةٌ عَظِيمَةٌ عِنْدَ العَرَبِ .





أُمُّ هَانِئٍ (رَضِىَ اللَّهُ عَنهَا) وَالإِسْرَاءُ



كَانَ النَّبِيُّ ﷺ لَيْلَةَ أُسْرِىَ بِهِ فِى بَيْتِ ابْنَةِ عَمِّهِ أَبِى طَالِبٍ أُمِّ هَانِئٍ ، وَقَد رَوَتْ هِىَ عَن حَادِث الإِسْرَاءِ فَقَالَتْ : إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ نَامَ عِنْدِى تِلْكَ اللَّيْلَةَ فِى بَيْتِى ، فَصَلَّى العِشَاءَ الأَخِيرَةَ ، ثُمَّ نَامَ ، وَنِمْنَا ، فَلَمَّا كَانَ قَبْلَ الفَجْرِ أَهَبَّنَا [1] رَسُولُ اللهِ ﷺ ، فَلَمَّا صَلَّى الصُّبْحَ ، وَصَلَّيْنَا مَعَهُ قَالَ : « يَا أُمَّ هَانِئٍ صَلَّيْتُ مَعَكُمُ العِشَاءَ الأَخِيرَةَ ، كَمَا رَأَيْتِ بِهَذَا الوَادِى ، ثُمَّ جِئْتُ بَيْتَ المَقْدِسِ ، فَصَلَّيْتُ فِيهِ ، ثُمَّ صَلَّيْتُ صَلاَةَ الغَدَاةِ مَعَكُمُ الآنَ كَمَا تَرَيْنَ » .

فَقُلْتُ لَهُ : (يَا نَبِيَّ اللهِ لَا تُحَدِّثْ بِهِ النَّاسَ فَيُكَذِّبُوكَ ، وَيُؤْذُوكَ) .

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « وَاللهِ لأُحَدِّثَنَّهُمُوهُ » [2] .



---

(١) أَهبَّ فلاناً من نومه : أيقظه .

(٢) رواه ابن سعد فى « الطبقات » (١٦٧/١) ، والطبرى فى « تفسيره » (١٥/٣) ، والطبرانى فى « الكبير » ، كما فى « مجمع الزوائد » (٨١/٢) .

خَوْفُ أُم هَانِئٍ (رَضِىَ اللَّهُ عَنْهَا) عَلَى ابْنِ عَمِّهَا ﷺ

خَافَتْ أُمُّ هَانِئٍ (رَضِىَ الله عنهَا) مِن تَكْذِيبِ المُشْرِكِينَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَإِيذَائِهِمْ لَهُ ، وَطَلَبَتْ مِنْهُ أَلَّا يُحَدِّثَ النَّاسَ بِمِثْلِ هَذَا ــ وَهُوَ الصَّادِقُ الأَمِينُ ــ حَتَّى لَا يَحْدُثُ مَا يُسِىءُ إِلَيْهِ مِنَ تَكْذِيبٍ وَإِيذَاءٍ .

تَعَلَّقَتْ أُمُّ هَانِئٍ بِرِدَاءِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَقَالَتْ : أُنْشِدُكَ الله يَا ابْنَ العَمِّ أَلَّا تُحَدِّثَ بِهَذَا الخَبَرِ قُرَيْشاً فَيُكَذِّبُكَ مَنْ صَدَّقَكَ .

وَلَكِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ ضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى رِدَائِهِ فَخَلَّصَهُ مِن يَدِهَا ، ثُمَّ خَرَجَ مِنَ البَيْتِ مُتَّجِهاً إِلَى المَسْجِدِ الحَرَامِ .

وَصَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى المَسْجِدِ ، وَطَافَ بِالبَيْتِ ، وَمَا أَنْ رَآهُ أَبُو جَهْلٍ بن هِشَامٍ حَتَّى اقْتَرَبَ وَسَأَلَهُ ، وَكَانَ مِن مُشْرِكِى مَكَّةَ : هَلْ عِنْدَكَ مِن جَدِيدٍ يَا مُحَمَّدُ ؟

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « نَعَمْ عِنْدِى الجَدِيدُ » .

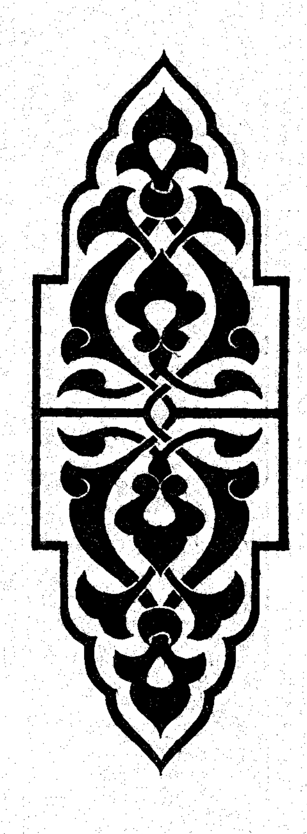
قَالَ أَبُو جَهْلٍ : مَا هُوَ يَا مُحَمَّدُ ؟

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أُسْرِىَ بِى اللَّيْلَةَ » .

قَالَ أَبُو جَهْلٍ : إِلَى أَيْنَ كَانَ هَذَا الإِسْرَاءُ يَا مُحَمَّدُ ؟

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِلَى بَيْتِ المَقْدِسِ » .

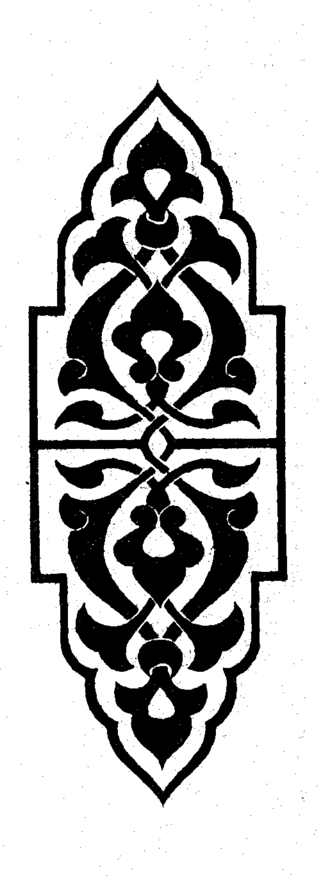
قَالَ أَبُو جَهْلٍ : ثُمَّ أَصْبَحْتَ بَيْنَ ظَهْرَانِينَا !



قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « نَعَمْ » .

قَالَ أَبُو جَهْلٍ : أَرَأَيْتَ إن دَعَوْتُ قَوْمَكَ لَكَ لِتُخْبِرهُم بِهَذَا ، هَلْ تَفِى بِوَعْدِكَ ، وَتُخْبِرهُم بِمَا أَخْبَرْتَنِى بِهِ ؟

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « وَمَاذَا فِى الأَمْرِ ، إِنَّنِى قُلْتُ حَقِيقَةً ، وَمَا قُلْتُهُ لَن أَحِيدَ عَنْهُ »(١) .



لَما أَخْبَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَبَا جَهْلٍ بِإِسْرَائِهِ فِى تِلْكَ اللَّيْلَةِ ، وَأَكَّدَ لَهُ ذَلِكَ ، مَرَّ عَلَى سَادَاتِ قُرَيْشٍ مِنَ المُشْرِكِينَ ، وَأَخْبَرَهُم بِمَا قَالَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَن صَلَاتِهِ فِى بَيْتِ المَقْدِسِ فِى لَيْلَتِهِ ، وَهُمُ الَّذِينَ يَقْطَعُونَهُ فِى بِضْعَةِ شُهُورٍ ، فَاسْتَغْرَبُوا هَذَا الأَمْرَ ، وَلَمْ يُصَدِّقْهُ وَاحِدٌ مِنْهُمْ ، وَقَالَ المُطْعَمُ بنُ عَدِىٍّ : إِنَّ أَمْرَكَ قَبْلَ اليَوْمِ كَانَ يَسِيراً ، غَيْرَ قَوْلَكَ اليَوْمَ ، وَأَنَا أَشْهَدُ أَنَّكَ كَذَّابٌ ..

نَحْنُ نَضْرِبُ أَكْبَادَ الإِبِلِ(٢) إِلَى بَيْتِ المَقْدِسِ مَصْعَداً أَشهراً ، وَمُنْحَدِراً أَشهراً ..

أَتَزْعُمُ أَنَّكَ أَتَيْتَهُ فِى لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ ؟

لَا أُصَدِّقُكَ ... وَمَا كَانَ الَّذِى تَقُولُ يُمْكِنُ أَن يَحْدُثَ ...

وَارْتَدَّ طَائِفَةٌ مِنَ المُسْلِمِينَ بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ ، أَمَّا أَقْوِيَاءُ الإِيمَانِ فَظَلُّوا عَلَى إِيمَانِهِمْ وَإِسْلَامِهِمْ .

---

(١) بنحوه عن ابن عباس رضى الله عنهما عند أحمد والطبرانى فى « الكبير » و « الأوسط » ورجاله رجال الصحيح ، كما فى « مجمع الزوائد » (٧٠/٢) .

(٢) كناية عن البُعْد وطُول المسافة .

إِيمَـانٌ وَتَصْـدِيق

انْتَهَزَ أَبُو جَهْلٍ فُرْصَةَ مَا قَالَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَن لَيْلَةِ الإِسْرَاءِ وَاعْتَقَدَ أَنَّ هَذِهِ الفُرْصَةَ قَد تُزَلْزِلُ إِيمَانَ أَبِي بَكْرٍ (رَضِيَ الله عنهُ)، وَتَرُدُّهُ إِلَيْهِمْ فَيَكْفُرُ بِمَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ بنُ عَبْدِ اللهِ ﷺ، فَرَاحَ يَبْحَثُ عَنْهُ حَتَّى وَجَدَهُ، فَقَالَ لَهُ: هَلْ عَلِمْتَ بِمَا قَالَهُ صَاحِبُكَ مُحَمَّدٌ بنُ عَبْدِ اللهِ ؟

قَالَ أَبُوبَكْرٍ (رَضِيَ الله عنهُ): وَمَاذَا قَالَ يَا ابْنَ هِشَامٍ ؟

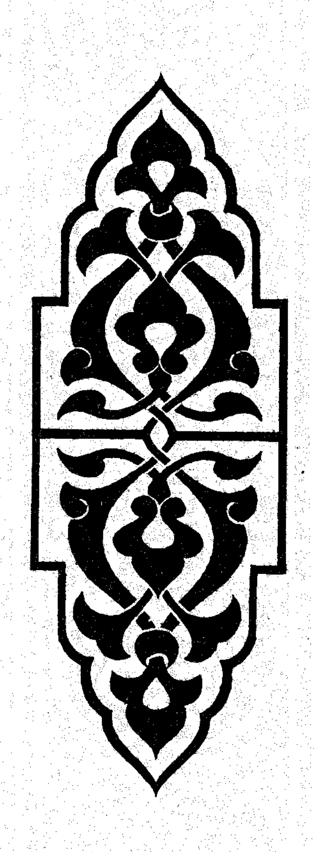
قَالَ أَبُوجَهْلٍ: إِنَّهُ يَزْعُمُ أَنَّهُ أُسْرِيَ بِهِ لَيْلًا مِن مَكَانِهِ هُنَا فِي مَكَّةَ حَتى وَصَلَ إِلَى بَيْتِ المَقْدِسِ رَاكِباً دَابَّةً تُسَمَّى (البُرَاقُ) وَأَنَّهَا قَطَعَتِ المَسَافَةَ فِي دَقَائِقَ مَعْدُودَةٍ، وَأَنَّهُ صَلَّى بِالأَنْبِيَاءِ ... ثُمَّ صَعَدَ إِلَى السَّمَاءِ ... وَأَنَّهُ رَجَعَ ... قُبَيْلَ ظُهُورِ ضَوْءِ النَّهَارِ.

قَالَ أَبُوبَكْرٍ (رَضِيَ الله عنهُ): إِنَّكُمْ تَكْذِبُونَ عَلَيْهِ.

قَالَ أَبُوجَهْلٍ: وَاللهِ إِنَّهُ لَيَقُولُهُ.

قَالَ أَبُوبَكْرٍ (رَضِيَ الله عنهُ): إِن كَانَ قَالَهُ فَقَد صَدَقَ.

قَالَ أَبُوجَهْلٍ: هَلْ تُصَدِّقُ مُحَمَّداً فِي مَقُولَتِهِ هَذِهِ ! وَأَنَّهُ ذَهَبَ إِلَى بَيْتِ المَقْدِسِ، ثُمَّ صَعَدَ إِلَى السَّمَاءِ ... وَعَادَ إِلَيْنَا قَبْلَ أَن يَظْهَرَ نُورُ الصَّبَاحِ.



قَالَ أَبُوبَكْرٍ (رَضِيَ اللهُ عنهُ) : نَعَمْ ... إِنِّي أُصَدِّقُهُ فِي أَبْعَدَ مِن ذَلِكَ ، فَوَاللهِ إِنَّهُ يُخْبِرُنِي أَنَّ الخَبَرَ لَيَأْتِيهِ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ فِي سَاعَةٍ مِن لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ .. فَهَذَا أَبْعَدُ مِمَّا تَعْجَبُونَ مِنْهُ .

بَيْنَمَا أَبُو بَكْرٍ (رَضِيَ اللهُ عنهُ) يَتَكَلَّمُ مَعَ أَبِي جَهْلٍ أَقْبَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ أَبُو بَكْرٍ (رَضِيَ اللهُ عنهُ) ، ثُمَّ قَالَ : يَا نَبِيَّ اللهِ أَحَدَّثْتَ هَؤُلَاءِ القَوْمَ أَنَّكَ جِئْتَ بَيْتَ المَقْدِسِ هَذِهِ اللَّيْلَةَ ؟

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « نَعَمْ يَا أَبَا بَكْرٍ » .

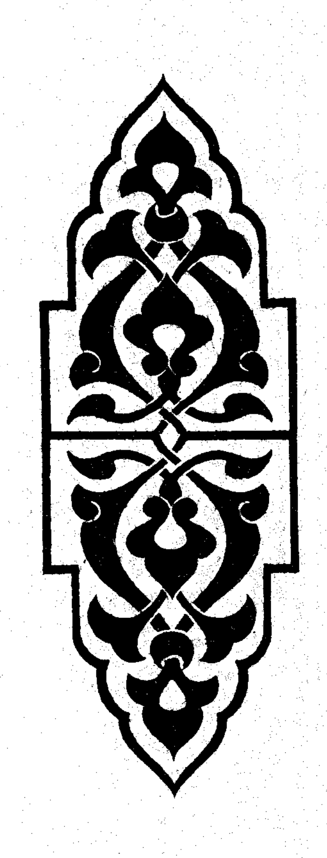
قَالَ أَبُو بَكْرٍ (رَضِيَ اللهُ عنهُ) : صِفْهُ لِي فَإِنِّي قَد جِئْتُهُ .

فَجَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَصِفُهُ ، وَأَبُو بَكْرٍ يُنْصِتُ إِلَيْهِ حَتَّى انْتَهَى مِن وَصْفِهِ .

قَالَ أَبُو بَكْرٍ (رَضِيَ اللهُ عنهُ) : صَدَقْتَ ... أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ .

وَهَكَذَا كَانَ أَبُو بَكْرٍ (رَضِيَ اللهُ عنهُ) كُلَّمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ وَصْفاً ، قَالَ : صَدَقْتَ .. صَدَقْتَ يَا رَسُولَ اللهِ .

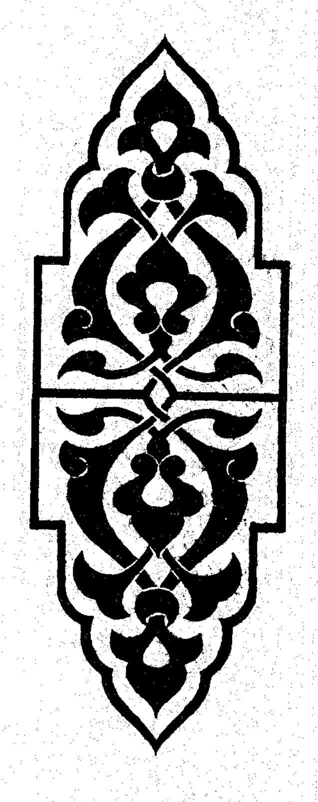
حَتَّى انْتَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ ، وَأَبُو بَكْرٍ (رَضِيَ اللهُ عنهُ) يُكَرِّرُ قَوْلَهُ : صَدَقْتَ .. صَدَقْتَ ، وَقَد زَادَ إِيمَانُهُ وَيَقِينُهُ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « وَأَنْتَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيق » .



فَمُنْذُ ذَلِكَ اليَوْمِ رَاحَ يُدْعَى : «أَبُو بَكْرٍ الصِّـدِّيقُ ــ رَضِيَ اللهُ عنهُ ــ »[1].

الصَّـحَابَةُ يُؤَكِّدُونَ إِيـمَانَهُمْ

اشْتَدّ الجِدَالُ وَالخِصَامُ بَيْنَ مَنْ آمَنَ بِمَا جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَبَيْنَ مَنْ لَمْ يُؤْمِن ، وَأَصْبَحَتْ مَجَالِسُ مَكَّةَ تَحْكِي مَا تَحَدَّثَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ ، وَهُمْ بَيْنَ المُصَدِّقِ وَالمُكَذِّبِ ، وَأَرَادَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ (رَضِيَ اللهُ عنهُ) أَن يُوَضِّحَ للنَّاسِ الحَقِيقَةَ حَتَّى يَقْطَعَ أَلْسِنَةَ المُكَذِّبِينَ وَالحَاقِدِينَ ، وَيُبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّ رَبَّ مُحَمَّدٍ ﷺ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَادِرٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ، فَقَالَ : يَا نَبِيَّ اللهِ أَلَمْ تَرَ فِي طَرِيقِكَ إِلَى بَيْتِ المَقْدِسِ عَلَامَةً وَاضِحَةً وَظَاهِرَةً تُحَدِّثُنَا عَنْهَا ؟!



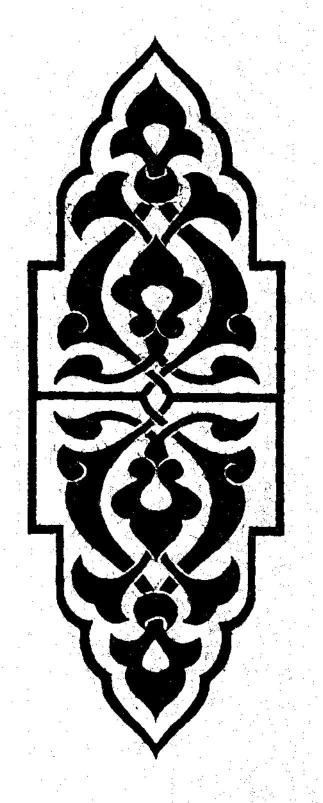
قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « أُحَدِّثُكم عَمَّا رَأَيْتُ ، وَذَلِكَ أَنِّي مَرَرْتُ بِعِيرِ بَنِي فُلَانٍ بِوَادِي كَذَا وَكَذَا ... وَأَنَا مُتَوَجِّهٌ إِلَى الشَّامِ ، ثُمَّ أَقْبَلْتُ حَتَّى إِذَا كُنْتُ بِضَجْنَانَ (جَبَلٌ بِنَاحِيَةِ تِهَامَةَ) مَرَرْتُ بِعِيرِ بَنِي فُلَانٍ ، فَوَجدتُّ القَوْمَ نِيَاماً ، وَلَهُمْ إِنَاءٌ فِيهِ مَاءٌ ، قَد غَطُّوا عَلَيْهِ بِشَيءٍ فَكَشَفْتُ غِطَاءَهُ ، وَشَرِبْتُ مَا فِيهِ ، ثُمَّ غَطَّيْتُ عَلَيْهِ كَمَا كَانَ »[2].

---

(١) راجع : (البداية والنهاية ٣/١٠٨ - ١١٨) .
(٢) المرجع السابق .

أَرَادَ النَّاسُ فِى مَكَّةَ أَنْ يَسْتَوْثِقُوا مِمَّا قَالَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَأَسْرَعُوا إِلَى الثَّنِيَّةِ البَيْضَاءِ ، وَانْتَظَرُوا إِلَى قُرْبِ غُرُوبِ الشَّمْسِ وَسَأَلُوهُمْ عَمَّا أَخْبَرَهُمْ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ ، فَأَكَّدُوا لَهُمْ صِدْقَ مَا قَالَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ .

وَرَغْمَ ذَلِكَ عَادَ الجَدَلُ وَالحِوَارُ يَمْلأُ كُلَّ دَارٍ فِى مَكَّةَ ، وَاسْتَمَرَّ القَوْمُ عَلَى عِنَادِهِمْ وَكُفْرِهِمْ .



تَرَقُّبُ الأَخْبَار

كَانَتْ أُمُّ هَانِئٍ (رَضِىَ الله عنهَا) قَلِقَةً عَلَى ابْنِ عَمِّهَا ، فَبالرَّغْمِ مِنْ أَنَّهَا طَلَبَتْ مِنْهُ أَلَّا يُخْبِر القَوْمَ بِإِسْرَائِهِ ، وَلَمْ يُطَاوِعْهَا إِلَّا أَنَّهَا خَائِفَةٌ عَلَيْهِ مِنْ غَدْرِهِمْ وَبَطْشِهِمْ وَتَكْذِيبِهِمْ وَإِيذَائِهِمْ لَهُ .

فَرَاحَتْ تَتَتَبَّعُ أَحْوَالَهُمْ مَعَهُ ، وَفَرِحَتْ بِمَا قَالَهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ (رَضِىَ الله عنهُ) ، مِن تَصْدِيقِهِ لِصَاحِبِهِ وَالْوُقُوفِ بِجِوَارِهِ .

لَكِنَّ العَدَاوَةَ اشْتَدَّتْ بَيْنَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَبَيْنَ مُشْرِكِى مَكَّةَ ، وَزَادَ مِنْ تِلْكَ العَدَاوَةِ حِينَمَا عَلِمَتْ قُرَيْشٌ أَنَّ الأَوْسَ وَالخَزْرَجَ بِيَثْرِبَ (المَدِينَة) قَد بَايَعُوهُ عَلَى أَن يَنْصرُوهُ وَيُؤْمِنُوا بِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

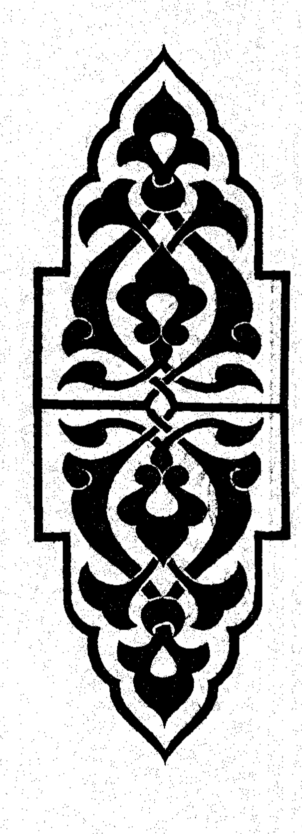
★ ★ ★

اتَّفقتْ قُرَيْشٌ عَلَى تَضْيِيق الخَنَاقِ عَلَى المُسْلِمِينَ وَرَسُولِ اللهِ ﷺ فَاشْتَدَّ البَلاءُ وَالإِيذَاءُ عَلَى المُسْلِمِينَ حَتَّى إِنَّ بَعْضَهُمْ فَكَّرَ فِى أَن يَذْهَبَ إِلَى يَثْرِبَ (المَدِينَة) ، وَأَن يَتْرُكُوا أَمْوَالَهُمْ وَذَوِيهِمْ وَأَن يَفِرُّوا بِدِينِهِمْ .

وَقَد كَانَ ذَلِكَ ، فَفَرَّ بَعْضُهُمْ إِلَى يَثْرِبَ (المَدِينَة) قَبْلَ أَن يَصِلَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهَا .

هِجْـرَةُ الأَبْنَـاء

كَانَ عَمْرٌو وَهَانِئٌ وَيُوسُفُ أَبْنَاء أُمِّ هَانِئٍ (رَضِىَ اللهُ عنهُم) مِن هُبَيْرَةَ بنِ أَبِى وَهْبٍ ، قَدْ أَسْلَمُوا وَحَسُنَ إِسْلَامُهُمْ ، وَفَكَّرُوا فِى أَن يُهَاجِرُوا إِلَى المَدِينَة ، فَعَرَضُوا عَلَيْهَا أَن تَذْهَبَ مَعَهُمْ ، وَلَكِنَّ زَوْجَهَا مَا يَزَالُ عَلَى الكُفْرِ وَلَا يُفَكِّرُ فِى أَن يُسْلِمَ ، فَرَأَتْ أَن تَبْقَى مَعَهُ حَتَّى يَقْضِىَ اللهُ فِى أَمْرِهِ ، وَسَمحَتْ لِأَوْلَادِهَا بِالْهِجْرَةِ ، فَأَعَدُّوا العُدَّةَ وَغَادَرُوا مَكَّةَ إِلَى المَدِينَةِ .



وَفَـاءٌ وَإِخْـلَاص

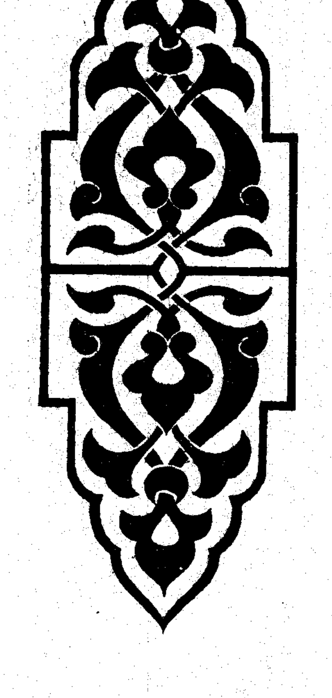
كَانَتْ أُمُّ هَانِئٍ (رَضِىَ اللهُ عنهَا) حَائِرَةً بَيْنَ أَمْرَيْنِ : هَلْ تَبْقَى مَعَ زَوْجِهَا المُشْرِك فِى مَكَّةَ ، أَمْ تُهَاجِرُ إِلَى المَدِينَةِ لِتَكُونَ بِجِوَارِ أَبْنَائِهَا ، وَتَرَى بِعَيْنَيْهَا قُوَّةَ المُسْلِمِينَ وَتحَرُّكَاتِهِمْ ، وَلَكِنَّهَا بَقِيَتْ فِى مَكَّةَ تُحَاوِلُ أَن تُقْنِعَ زَوْجَهَا بالدُّخُولِ فِى دِينِ الإِسْلَامِ ، وَإِن كَانَ هُوَ مُصِرًّا عَلَى أَن يَبْقَى مَعَ المُشْرِكِينَ .

كَانَتْ قَلِقَةً ، وَلَكِنَّ وَفَاءَهَا لِزَوْجِهَا غَلَبَ عَلَيْهَا ، وَرَأَتْ أَن تَكُونَ وَفِيَّةً لَهُ ، حَتَّى تَتَّضِحَ الأُمُورُ ، وَتَصِلَ إِلَى بَرِّ الأَمَانِ ، وَإِنَّهَا لَتَرَى أَنَّ نَصْرَ اللهِ لِرَسُولِهِ ﷺ قَرِيبٌ ، وَأَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَعَهُ .

حُلْمٌ عَجِيب

كَانَتْ أُمُّ هَانِئٍ (رَضِيَ اللهُ عنهَا) تُفَكِّرُ فِي أَمْرِهَا وَفِي أَحْوَالِ النَّاسِ حَوْلَهَا ، وَهُمْ مِثْلُهَا فِي قَلَقٍ شَدِيدٍ ، فَالْمُسْلِمُونَ يَزْدَادُونَ قُوَّةً كُلَّ يَوْمٍ ، وَسَيَدْخُلُونَ مَكَّةَ إِنْ عَاجِلًا أَوْ آجِلًا .

أَكَّدَ لَهَا ذَلِكَ الرُّؤْيَا الَّتِي رَأَتْهَا فِي مَنَامِهَا ، فَقَدْ رَأَتْ رُؤْيَا غَرِيبَةً مَلأَتْ صَدْرَهَا رُعْباً ، لَقَد رَأَتْ رِجَالًا بِيضاً يُحَطِّمُونَ اللَّاتَ والعزَّى وَمَنَاةَ ... لَقَد حَطَّمُوا ثَلَاثَمائَةٍ وَسِتِّينَ صَنَماً كَانَتْ حَوْلَ الكَعْبَةِ ، وَقَد وَقَفَ سَادَاتُ قُرَيْشٍ مَذْهُولِينَ مِنْ هَذَا المَوْقِف الَّذِى لَا يَسْتَطِيعُونَ إِزَاءَهُ فِعْلَ شَيءٍ ، لَقَد عَجَزُوا أَن يَفْعَلُوا شَيْئاً مَعَ هَؤُلَاءِ الرِّجَالِ .



أَخْبَرَت أُمُّ هَانِئٍ (رَضِيَ اللهُ عنهَا) زَوْجَهَا هُبَيْرَةَ ابنَ أَبِى وَهْب بِرُؤْيَتِهَا هَذِهِ ، فَقَالَ لَهَا سَاخِراً : أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ [1] يا أُم هَانِئٍ ، وَإِنَّنِى أَعْتَقِدُ أَنَّ أَمْرَ المُسْلِمِينَ أَصْبَحَ يَشْغَلُكِ كَثِيراً .

---

(١) **أضغاث أحلام** : أى رؤياها مختلطة متلبسة .

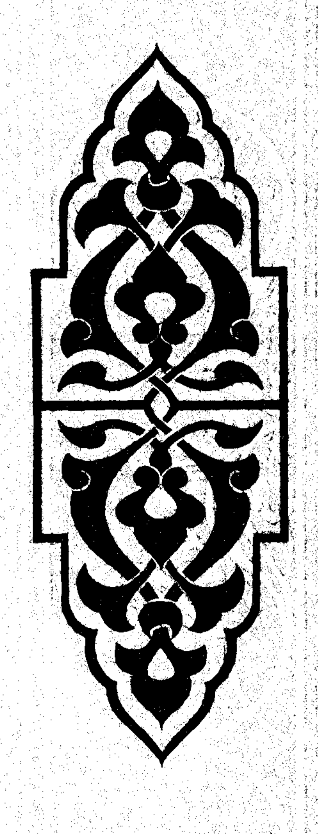
قَالَتْ أُمُّ هَانِئٍ (رَضِيَ الله عنهَا) : وَلَكِنَّكَ يَا أَبَا عَمْرٍو تَشْغَلُنِي أَكْثَرَ وَأَكْثَرَ ، وَهَذَا مَا جَعَلَنِي أَتْرُكُ أَوْلَادَنَا وَأَبْقَى بِجَانِبِكَ .

قَالَ هُبَيْرَةُ : دَعِينِي يَا أُمَّ عَمْرٍو أُفَكِّرُ فِي أَمْرِي وَحْدِي .

قَالَتْ أُمُّ هَانِئٍ (رَضِيَ الله عنهَا) : مَا تَدَخَّلْتُ يَا أَبَا عَمْرٍو فِي شَأْنِكَ ، وَلَكَ مُطْلَقُ الحُرِّيَّةِ ، وَلَكِنَّنَا نَرَى النَّاسَ يُقْبِلُونَ عَلَى الإِيمَانِ بِمَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدُ ابْنُ عَبْدِ اللهِ ﷺ ، وَأَرَى أَن نَكُونَ مَعَهُم .

قَالَ هُبَيْرَةُ : لَكِ رُؤْيَتُكِ ، وَلِي رُؤْيَتِي ، وَكُلٌّ وَاحِدٍ وَشَأْنُهُ .

ثُمَّ حَكَتْ أُمُّ هَانِئٍ (رَضِيَ الله عنهَا) لِزَوْجِهَا هُبَيْرَةَ مَا رَأَتْهُ عَمَّتُهَا عَاتِكَةُ بنتُ عَبْدِ المُطَّلِبِ فِي المَنَامِ وَقَد تَحَقَّقَ مَا رَأَتْهُ فِي مَنَامِهَا ، رَأَتْ رَاكِباً أَقْبَلَ عَلَى بَعِيرٍ حَتَّى وَقَفَ بِالأَبْطَحِ ، ثُمَّ صَرَخَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ : يَا آلَ غُدَرٍ انْفِرُوا إِلَى مَصَارِعِكُمْ فِي ثَلَاثٍ ، صَرَخَ بِهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ .. رَأَتْ عَاتِكَةُ النَّاسَ اجْتَمَعُوا إِلَيْهِ ، ثُمَّ دَخَلَ المَسْجِدَ وَالنَّاسُ يَتَتَبَّعُونَهُ إِذْ مَثُلَ بِهِ بَعِيرُهُ عَلَى ظَهْرِ الكَعْبَةِ ، فَصَرَخَ بِمِثْلِهَا ثَلَاثاً ، ثُمَّ مَثُلَ بِهِ بَعِيرُهُ عَلَى أَبِي قُبَيْسٍ (١) ، فَصَرَخَ بِمِثْلِهَا ثَلَاثاً ، ثُمَّ أَخَذَ صَخْرَةً مِن أَبِي قُبَيْسٍ فَأَرْسَلَهَا ، فَأَقْبَلَتْ تَهْوِي حَتَّى إِذَا كَانَتْ بِأَسْفَلِ الجَبَلِ ، انْقَضَتْ فَمَا بَقِيَ بَيْتٌ مِن بُيُوتِ مَكَّةَ وَلَا دَارٌ

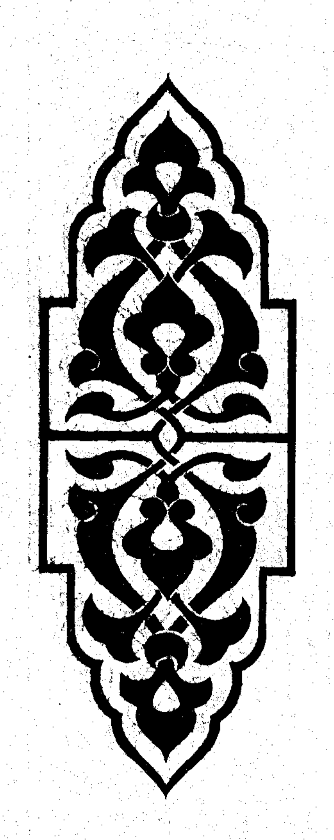


---

(١) أَبُو قُبَيْسٍ : جبَلٌ مُشْرِفٌ عَلى مكة .

مِن دُورِهَا إِلَّا دَخَلَتْهُ مِنْهَا فِلْذَةٌ (١) ، وَلَمْ يَدْخُلْ دَارًا وَلَا بَيْتاً مِن بُيُوتِ بَنِى هَاشِمٍ ، وَلَا بَنِى زَهْرَةَ مِن تِلْكَ الصَّخْرَةِ شَىْءٌ ...

وَلَقَدِ انْتَشَرَ هَذَا الحَدِيثُ فِى النَّاسِ ، وَقَالَ أَبُو جَهْلِ بْنُ هِشَامٍ لِعَمِّى العَبَّاس : يَا بَنِى عَبْدِ المُطَّلِبِ أَمَا رَضِيتُمْ أَن تَتَنَبَّأَ رِجَالُكُم حَتَّى تَتَنَبَّأَ نِسَاؤُكُم ؟.. زَعَمَتْ عَاتِكَةُ بِنتُ عَبْدِ المُطَّلِبِ أَنَّهَا رَأَتْ فِى المَنَامِ كَذَا وَكَذَا ... فَسَنَتَرَبَّصُ بِكُمْ ثَلَاثاً ... فَإِن يَكُن مَا قَالَتْهُ حَقًّا ، وَإِلَّا كَتَبْنَا عَلَيْكُم أَنَّكُم أَكْذَبُ أَهْل بَيْتٍ فِى العَرَبِ .



لَقَد تَحَقَّقَ مَا حَلمَتْ بِهِ عَمَّتِى عَاتِكَةُ ، وَكَانَ مَا كَانَ مِن ضَمْضَمِ بنِ عَمْرٍو الغِفَارِىِّ ، وَقَد بَعَثَهُ أَبُو سُفيَانَ بنُ حَرْبٍ يَسْتَنْفِرُ قُرَيْشاً إِلَى العِيرِ ، فَدَخَلَ مَكَّةَ ... وَهُوَ يَصِيحُ : يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ اللَّطِيمَةَ (٢) ... اللَّطِيمَةَ ... قَد تَعَرَّضَ لَهَا مُحَمَّدٌ وَأَصْحَابُهُ ... الغَوْثَ الغَوْثَ ... وَكَانَتْ وَقْعَةُ بَدْرٍ .

فَهَذِهِ الرُّؤْيَةُ كَانَتْ قُبَيْلَ غَزْوَة بَدْرٍ ، وَقَد انْتَصَرَ فِيهَا المُسْلِمُونَ عَلَى مُشْرِكِى مَكَّةَ ، وَتَحَقَّقَ حُلْمُ عَاتِكَةَ بنتِ عَبْدِ المُطَّلِبِ .

وَلَكِنَّ هُبَيْرَةَ لَمْ يُصْغِ جَيِّداً لِمَا قَالَتْهُ زَوْجَتُهُ ، وَظَنَّ أَنَّ مُحَمَّداً ﷺ لَن يَسْتَطِيعَ أَنْ يَدْخُلَ مَكَّةَ .

---

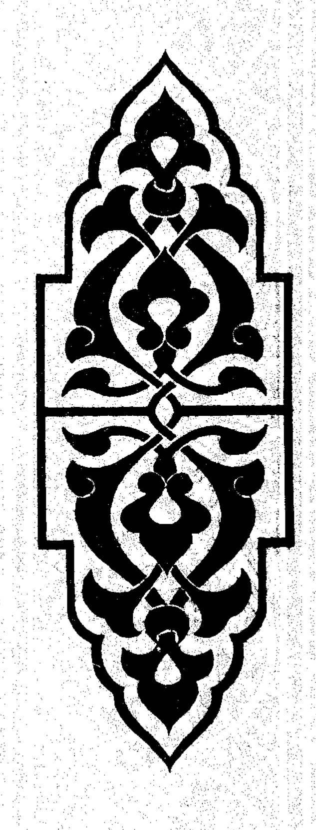
(١) **الفِلْذَةُ** : القطعة .

(٢) **اللَّطِيمَةُ** : العير تحمل الطِّيب وبزَّ التجار، والبزُّ هو نوع من الحرير .

الرُّؤْيَا الصَّادِقَة

وَتَحَقَّقَتْ رُؤْيَةُ أُمِّ هَانِئٍ (رَضِىَ اللهُ عنهَا)، فَقَد نَقَضَتْ مَكَّةُ العَهْدَ الَّذِى كَانَ بَيْنَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَبَيْنَ سَادَاتِ مَكَّةَ، وَكَانَ مِن شُرُوطِهِ فِى الحُدَيْبِيَّةِ أَنَّهُ مَنْ أَحَبَّ أَن يَدْخُلَ فِى عَقْدِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَعَهْدِهِ فَلْيَدْخُلْ فِيهِ، وَمَنْ أَحَبَّ أَن يَدْخُلَ فِى عَقْدِ قُرَيْشٍ وَعَهْدِهِمْ فَلْيَدْخُلْ فِيهِ، وَكَانَتْ خُزَاعَةُ قَد دَخَلَتْ فِى عَهْدِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَدَخَلَ بَنُو بَكْرٍ فِى عَهْدِ قُرَيْشٍ.

لَكِنَّ جَمَاعَةً مِن قُرَيْشٍ مِنْهُمْ عِكْرِمَةُ بنُ أَبِى جَهْلٍ، وَبَعْضُ سَادَاتِ قُرَيْشٍ حَرَّضُوا بَنِى بَكْرٍ عَلَى قِتَالِ خُزَاعَةَ، وَأَمَدُّوهُم بالسِّلَاحِ، فَهَجَمَ بَنُو بَكْرٍ عَلَى خُزَاعَةَ ذَاتَ لَيْلَةٍ عَلَى مَاءٍ لَهُم يُدْعَى (الوَتِيرُ)[1] وَقَتَلُوا مِنْهُم عَدَداً كَبِيراً، فَاسْتَجَارَتْ خُزَاعَةُ بِالنَّبِيِّ ﷺ، فَاسْتَعَدَّ لِحَرْبِ أَهْلِ مَكَّةَ.



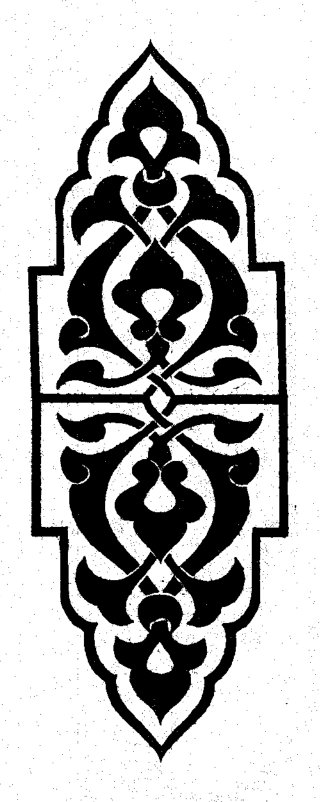
وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَرَى أَن يَكُونَ تَحَرُّكُ الجَيْشِ سِرًّا حَتَّى لَا تَسْتَعِدَّ مَكَّة لِلْقِتَالِ، وَأَن يُسْلِمُوا مِنْ غَيْرِ أَن تُرَاقَ دِمَاءٌ، لِذَلِكَ أَمَرَ النَّاسَ بِالتَّجَهُّزِ، فَلَمَّا تَجَهَّزُوا أَعْلَمَهُم أَنَّهُ سَائِرٌ إِلَى مَكَّةَ، وَدَعَا اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَن يُخْفِى أَمْرَهُمْ عَن قُرَيْشٍ.

---

(١) **الوَتِيرُ** : اسم موضع.

فَتْحٌ وَنَصْــر

سَارَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي الجَيْشِ ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى ذِى طُـوًى (١) وَرَأَى أَنَّ مَكَّةَ لَا تُقَاوِمُ ، فَاسْتَوْقَفَ كَتَائِبَهُ، وَوقَفَ عَلَى رَاحِلَتِهِ ، وَانْحَنَى للهِ ــ عَز وَجَلَّ ــ شَاكِراً أَن فَتحَ عَلَيْهِ مَكَّةَ ، الَّتِى آذَاهُ أَهْلُهَا ، وَأَخْرَجُوهُ مِنْهَا .



لَكِنَّهُ (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) ظَلَّ عَلَى حَذَرٍ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ ، فَقَدِ أَمَرَ أَن يُفَرَّقَ الجَيْشُ أَرْبَعَ فِرَقٍ ، وَأَمَرَ الجَمِيعَ أَلَّا يُقَاتِلُوا وَلَا يَسْفِكُوا دَماً إِلَّا إِذَا أُكْرِهُوا عَلَى ذَلِكَ إِكْرَاهاً ، وَاضْطُرُّوا إِلَيْهِ اضْطِرَاراً .

نَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ قُبَالَةَ جَبَلِ هِنْدٍ ، وَضُرِبَتْ لَهُ قُبَّةٌ عَلَى مَقْرَبَةٍ مِن قَبْرَىْ أَبِى طَالِبٍ وَخَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ (رَضِىَ اللّه عنهَا) .

سَأَلَهُ أَحَدُ الصَّحَابَةِ : هَلْ تُرِيدُ أَن تَسْتَرِيحَ فِى بَيْتِكَ يَا رَسُولَ اللهِ ؟

فَأَجَابَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « كَلَّا فَمَا تَرَكُوا لِى بِمَكَّةَ بَيْتاً » .



---

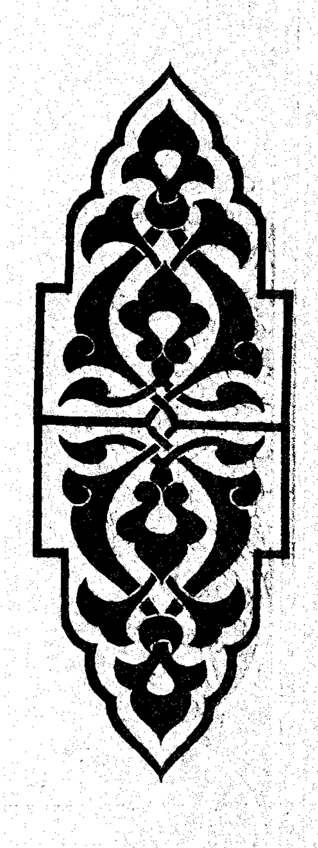
(١) ذى طُوًى : وادٍ بمكة .

أُمُّ هَانِئٍ (رَضِىَ اللَّـهُ عَنْهَا) وَزَوْجُهَا

كَانَتْ أُمُّ هَانِئٍ (رَضِىَ الله عنهَا) وَزَوْجُهَا هُبَيْرَةُ يَرَيَانِ جُيُوشَ المُسْلِمِينَ ، وَهِىَ تَتَحَرَّكُ فِى مَكَّةَ ، وَقَد دَخَلَتْ كُلَّ بَيْتٍ فِيهَا سَالِمِينَ مُسَالِمِينَ ، حَتَّى وَصَلُوا إِلَى المَسْجِدِ الحَرَامِ ، وَحَطَّمُوا كُلَّ الأَصْنَامِ ، وَهُمْ يُهَلِّلُونَ وَيُكَبِّرُونَ وَمَا زَالَ يَرِنُّ فِى الآذَانِ صَوْتُ كَبِيرِهِمْ أَبِى سُفْيَانَ بن حَرْبٍ وَهُوَ يُنَادِى بِأَعْلَى صَوْتِهِ : يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ هَذَا مُحَمَّدٌ ﷺ قَد جَاءَكُم بِمَا لا قِبَلَ لَكُمْ بِهِ .

قَالَ أَهْلُ مَكَّةَ : وَمَاذَا نَفْعَلُ يَا أَبَا سُفْيَانَ ؟

قَالَ أَبُو سُفْيَانَ : مَن دَخَلَ دَارِى فَهُوَ آمِنٌ ، وَمَن دَخَلَ دَارَ حَكِيمِ بنِ حِزَامٍ فَهُوَ آمِنٌ ، وَمَن دَخَلَ المَسْجِدَ الحَرَامَ فَهُوَ آمِنٌ ، وَمَن أَغْلَقَ عَلَيْهِ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ .



قَالَتْ أُمُّ هَانِئٍ (رَضِىَ الله عنهَا) : أَرَأَيْتَ يَا هُبَيْرَةُ أَنَّ رُؤْيَاىَ قَد تَحَقَّقَتْ ، فَهَاهُمْ الرِّجَالُ يَدْخُلُونَ المَسْجِدَ الحَرَامَ وَيُحَطِّمُونَ كُلَّ مَا فِيهِ مِنْ أَصْنَامِ الجَاهِلِيَّةِ بِمَا فِيهَا مِنَ الأَصْنَام الكَبِيرَة اللاَّتِ ، وَالعُزَّى ، وَمَنَاةَ ... حَطَّمُوا مِئَاتِ الأَصْنَامِ الَّتِى كَانَتْ حَوْلَ الكَعْبَةِ وَفَوْقَهَا .

قَالَ هُبَيْرَةُ : وَمَا كُنْتِ تَرَيْنَ أَنْ أَفْعَلَ ؟ هَلْ كُنْتِ تَرَيْنَ أَنْ أُحَطِّمَ الأَصْنَامَ مَعَهُمْ ، أَوْ أَمْنَعَهُم مِن تَحْطِيمِهَا ؟

قَالَتْ أُمُّ هَانِئٍ (رَضِىَ الله عنهَا) : لاَ أُرِيدُ هَذَا

وَلَاذَاكَ ، وَإِنَّمَا أُرِيدُ أَن تَكُونَ مَعِىَ ، وَتُطَاوِعَنِى بِمَا أُشِيرُ بِهِ عَلَيْكَ .

قَالَ هُبَيْرَةُ : وَبِمَاذَا تُشِيرِينَ يَا أُمَّ أَوْلَادِى ؟!

قَالَتْ أُمُّ هَانِئٍ (رَضِىَ الله عنهَا) : أُشِيرُ عَلَيْكَ أَن تَبْقَى بِجَانِبِى ، وَأَن تُلَازِمَ بَيْتَنَا .

قَالَ هُبَيْرَةُ : وَهَلْ سَتُدَافِعِينَ عَنِّى حِينَمَا يَأْتِى الْمُسْلِمُونَ ، وَيَدْخُلُونَ عَلَيْنَا الْبَيْتَ وَيَقْتُلُونَنِى .

قَالَتْ أُمُّ هَانِئٍ (رَضِىَ الله عنهَا) : لَن يَدْخُلَ عَلَيْنَا الْبَيْتَ أَحَدٌ ، وَلَن يَقْتُلُوكَ .

قَالَ هُبَيْرَةُ : إِنَّنِى لَنْ أُطَاوِعَكِ ... بَلْ سَأَفْعَلُ مَا أَرَاهُ .

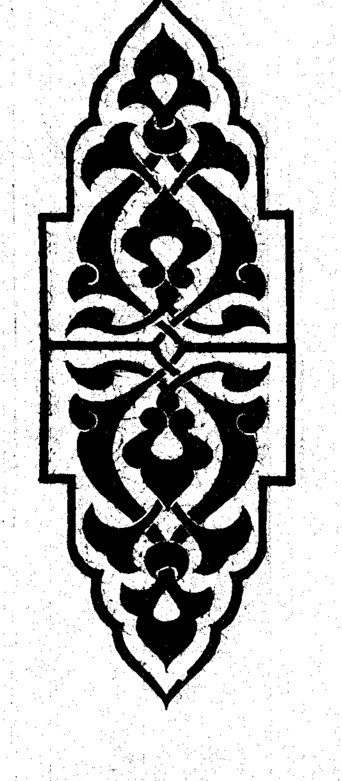
قَالَتْ أُمُّ هَانِئٍ (رَضِىَ الله عنهَا) : كَيْفَ يَكُونُ ذَلِكَ ، وَقَد بَقَيْتُ بِجِوَارِكَ ، ولَمْ أَذْهَبْ مَعَ أَوْلَادِى عَمْرٍو ، وَهَانِئٍ ، وَيُوسُفَ إِلَى الْمَدِينَةِ .

قَالَ هُبَيْرَةُ : لَكِ مُطْلَقُ الْحُرِّيَّةِ فِى أَن تَفْعَلِى مَا تُرِيدِينَ ، فَتَذْهَبِى أَوْ تَبْقِى .

قَالَتْ أُمُّ هَانِئٍ (رَضِىَ الله عنهَا) : أَهَذَا رَأْيُكَ الأَخِيرُ ؟

قَالَ هُبَيْرَةُ : هَذَ هُوَ رَأْيِى الأَخِيرُ .

★ ★ ★





خَـوْفٌ وَفِـرَارٌ

حَمَلَ هُبَيْرَةُ بنُ وَهْبٍ سَيْفَهُ ، وَبَعْضاً مِنَ المَـاءِ وَالزَّادِ ، يُرِيدُ أَن يَخْرُجَ مِنَ البَيْتِ .

قَالَتْ لَـهُ أُمُّ هَـانِئٍ (رَضِىَ اللهُ عنهَـا) : إِلَى أَيْنَ يَا هُبَيْرَةُ ؟

قَالَ هُبَيْرَةُ : سَأَذْهَبُ إِلَى نَجْرَانَ [(١)] .

قَالَتْ أُمُّ هَانِئٍ (رَضِىَ اللهُ عنهَـا) : وَلِمَـاذَا هَـذَا العَـذَابُ ، وَأَنَا مَعَكَ ؟

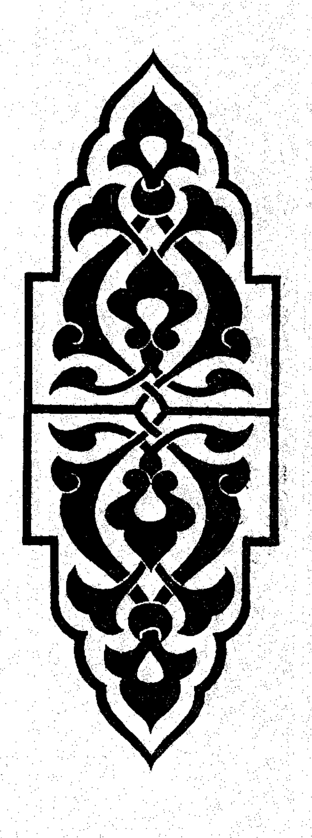
قَالَ هُبَيْـرَةُ : لَا ... أَنْتِ وَشَأْنُكِ ... وَأَنَا وَشَأْنِى .

قَالَتْ أُمُّ هَـانِئٍ (رَضِىَ اللهُ عنهَا) : تَعَـالَ ... وَسَأَذْهَبُ إِلَى ابْنِ عَمِّى وَأُخْبِرُهُ أَنِّى قَدْ أَجَرْتُكَ وَأَنَا وَاثِقَةٌ مِنْ أَنَّهُ سَيَسْتَجِيبُ لِى .

قَالَ هُبَـيْرَةُ : لَا ... وَأَلْفَ لَا ... لَنْ أَدْخُلَ مَكَّةَ ، وَسَأَظَلُّ بَعِيداً عَنْهَا ، وَوَلَّى وَجْهَهُ إِلَى نَجْرَانَ .

جَلَسَتْ أُمُّ هَـانِئٍ (رَضِىَ اللهُ عنهَا) مَهْمُومَةً ، تُفَكِّرُ فِيمَا آلَ إِلَيْهِ أَمْرُ هُبَيْرَةَ ، دَخَلَ عَلَيْهَا أَقَارِبُ هُبَيْرَةَ وَمِنْهُمُ الحَارِثُ بنُ هِشَـامٍ ، وَزُهَيْرُ بنُ أَبِى أُمَيَّةَ ، وَاسْتَجَارُوا بِأُم هَانِئٍ (رَضِىَ اللهُ عنهَا) فَأَجَارَتْهُمْ .

دَخَلَ عَلَيْهَا أَخُوهَا عَلِىٌّ بنُ أَبِى طَالِبٍ (رَضِىَ اللهُ عنهُ) ، وَأَرَادَ أَن يَقْتُلَ مَنْ مَعَهَا فِى البَيْتِ .



---

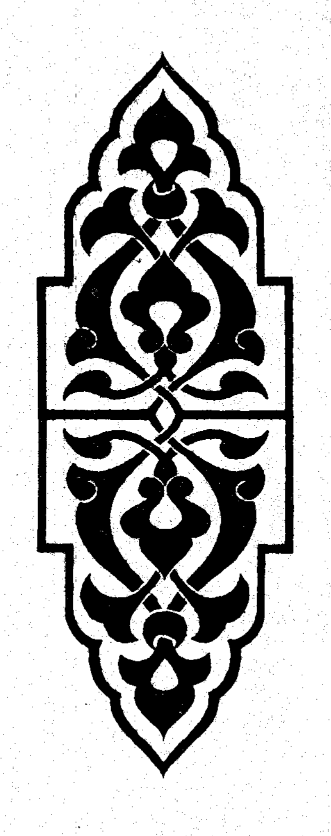
(١) **نجـران** : اسم بلد .

قَالَتْ أُمُّ هَانِئٍ (رَضِىَ الله عنهَا) : إِيَّاكَ أَن تَفْعَلَ ، فَقَد أَجَرْتُهُم .

قَالَ لَهَا أَخُوهَا عَلِىٌّ (رَضِىَ الله عنهُ) : أَتُجِيرِينَ المُشْرِكِينَ ؟

قَالَتْ أُمُّ هَانِئٍ (رَضِىَ الله عنهُ) : نَعَمْ يَا أَخِى ، أُجِيرُ كُلَّ مَنْ دَخَلَ بَيْتى ، وَإِنَّهُمْ أَقَارِبُ هُبَيْرَةَ وَبَيْتِى هَـذَا لَيْسَ بِأَقَلِّ شَأْناً مِن بَيْتِ أَبِى سُفْيَانَ ، إِنَّهُ بَيْتُ بَنِى هَاشِم .

لَقَد حَالَتْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَخِيهَا ، ثُمَّ أَغْلَقَتْ عَلَيْهِمْ بَابَ الدَّارِ وَاتَّجَهَتْ إِلَى ابْنِ عَمِّهَا مُحَمَّدٍ ﷺ .



لِقَاءُ النَّبِىِّ ﷺ

جَرَتْ أُمُّ هَانِئٍ (رَضِىَ الله عنهَا) إِلَى المَكَانِ الَّذِى يَنْزِلُ فِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِأَعْلَى مَكَّةَ ، فَوَجَدَتْهُ يَغْتَسِلُ مِنْ جَفْنَةٍ [1] فِيهَا أَثَرُ العَجِينِ ، وَالسَّيِّدَةُ فَاطِمَةُ (رَضِىَ الله عنهَا) ابْنَتُهُ تَسْتُرُهُ بِثَوْبٍ ، فَسَلَّمَتْ أُمُّ هَانِئٍ عَلَى فَاطِمَةَ (رَضِىَ الله عنهُما) ، وَسَمِعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الصَّوْتَ فَسَأَلَ فَاطِمَةَ (رَضِىَ الله عنهَا) : مَنْ هَذِهِ يَا فَاطِمَةُ ؟

فَقَالَتْ فَاطِمَةُ (رَضِىَ الله عنهَا) : إِنَّهَا هِنْدُ بِنْتُ أَبِى طَالِبٍ .

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : أُمُّ هَانِئٍ .

---

(١) **الجَفْنَةُ** : القصعة .

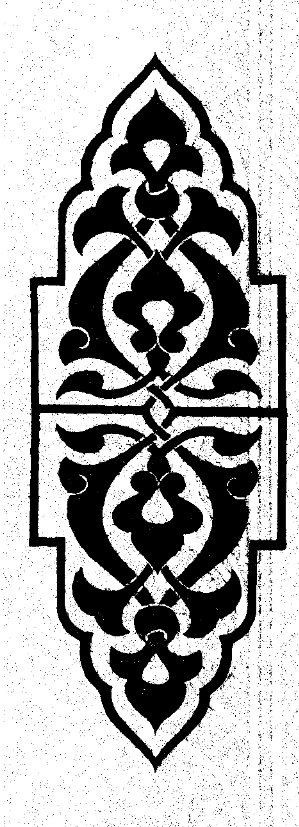
قَالَتْ فَاطِمَةُ (رَضِيَ الله عنهَا) : نَعَمْ يَا أَبِي ، إِنَّهَا أُم هَانِئ .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : مَرْحَباً بِأُم هَانِئ .

فَلَمَّا أَتَمَّ ﷺ غُسْلَهُ ، وَلَبِسَ ثَوْبَهُ ، ثُمَّ صَلَّى ثَمَانِيَ رَكَعَاتٍ سُنَّة الضُّحى .

قَالَتْ أُمُّ هَانِئ (رَضِيَ الله عنهَا) : مَا هَذِهِ الصَّلَاةُ يَا رَسُولَ الله ؟

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : يَا أُمَّ هَانِئ هَذِهِ صَلَاةُ الإِشْرَاقِ (١) .



جِوَارُ أُمِّ هَانِئ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا)

سَأَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أُمَّ هَانِئ عَنِ أَسْبَابِ مَجِيئِهَا إِلَيْهِ ، فَقَالَ ﷺ : مَا جَاءَ بِكِ يَا أُمَّ هَانِئ ؟

قَالَتْ أُمُّ هَانِئ (رَضِيَ الله عنهَا) : فَرَّ إِلَيَّ الحَارِثُ ابنُ هِشَامٍ ، وَزُهَيْرٌ بنُ أَبِي أُمَيَّةَ ، وَهُوَ ابنُ عَاتِكَةَ بنت عَبْدِ المُطَّلِبِ ، فَاسْتَجَارَا بِي ، فَأَجَرْتُهُمَا .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَجَرْنَا مَنْ أَجَرْتِ ، وَأَمَّنَّا مَنْ أَمَّنْتِ ، فَلَا نَقْتُلُهُمَا » .

رَجَعَتْ أُمُّ هَانِئ (رَضِيَ الله عنهَا) إِلَى بَيْتِهَا ، وَأَمَّنَتْ مَنْ اسْتَجَارَ بِهَا ، وَشَاعَ بَيْنَ النَّاسِ مَا فَعَلَتْ ، فَأَكْبَرَ النَّاسُ فِعْلَهَا هَذَا ، وَصَارَ بَيْتُهَا المَكَانَ الآمِنَ بَيْنَ النَّاسِ .

---

(١) أعلام النساء (١٤/٤ - ١٦) .

النَّبِىُّ ﷺ فِى بَيْتِ أُمّ هَانِئٍ (رَضِىَ اللَّهُ عَنْهَا)

كَانَتْ أُمُّ هَانِئٍ (رَضِىَ الله عنهَا) قَد أَسْلَمَتْ وَحسُنَ إسْلَامُهَا ، وَذَهَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى بَيْتِهَا ، فَقَالَ لَهَا : هَلْ عِنْدَكُم مِن طَعَامٍ نَأْكُلُهُ ؟

فَقَالَتْ فِى اسْتِحْيَاءٍ (رَضِىَ الله عنهَا) : لَيْسَ عِنْدِى إِلَّا كِسَرٌ يَابِسَةٌ ، وَأَنَا أَسْتَحْيِى أَنْ أُقَدِّمَهَا إِلَيْكَ .

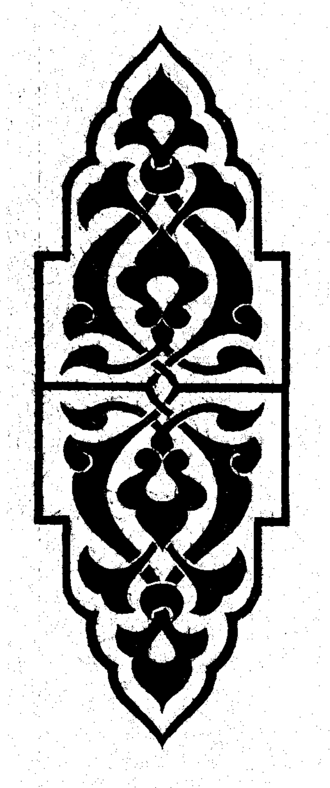
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : فَتُكَسِّرِيهِنَّ فِى مَاءٍ .

وَجَاءَتْ بِمِلْحٍ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : هَلْ مِنْ أُدْمٍ [1] ؟

فَقَالَتْ أُمُّ هَانِئٍ بِنْتُ أَبِى طَالِبٍ (رَضِىَ الله عنهَا) : مَا عِنْدِى ــ يَا رَسُولَ اللهِ ــ إِلَّا شَىْءٌ مِنْ خَلٍّ .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : ائْتِنِى بِهِ .

وَلَمَّا أَكَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَالَ لِأُمِّ هَانِئٍ (رَضِىَ الله عنهَا) : « سَبِّحِى الله مِائَةَ تَسْبِيحَةٍ ؛ فَإِنَّهَا تَعْدِلُ لَكِ مِائَةَ رَقَبَةٍ مِن وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ ، وَاحْمَدِى الله مِائَةَ تَحْمِيدَةٍ ؛ فَإِنَّهَا تَعْدِلُ مِائَةَ فَرَسٍ مُلْجَمَةٍ تَحْمِلِينَ عَلَيْهَا فِى سَبِيلِ اللهِ ، وَكَبِّرِى مِائَةَ تَكْبِيرَةٍ ؛ فَإِنَّهَا تَعْدِلُ مِائَةَ بَدَنَةٍ مُقَلَّدَةٍ مُقْبِلَةٍ ، وَهَلِّلِى الله مِائَةَ تَهْلِيلَةٍ ، فَإِنَّهَا تَمْلأُ



---

(١) **الأُدْمُ** : ما يؤكل بالخبز أيَّ شيء كان .

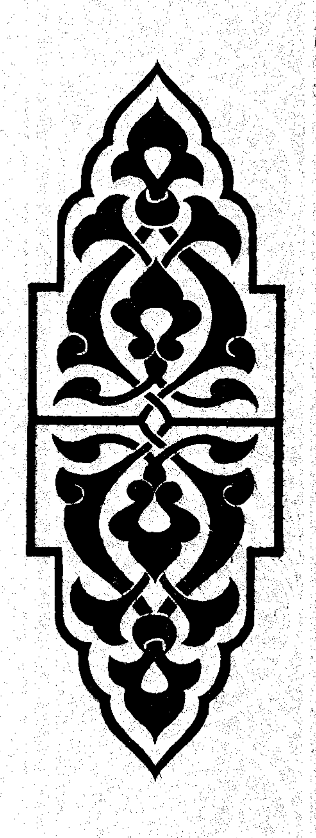


مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ، وَلَا يُرْفَعُ يَوْمَئِذٍ لِأَحَدٍ عَمَلٌ أَفْضَلُ مِنْهَا إِلَّا أَن يَأْتِي بِمِثْلِ مَا أَتَيْتِ » (١) .

فِرَاقٌ إِلَى الأَبَد

أَرْسَلَ هُبَيْرَةُ بَعْدَ فِرَارِهِ إِلَى نَجْرَانَ إِلَى أُمِّ هَانِئٍ (رَضِيَ الله عنهَا) مُعْتَذِراً مِن فِرَارِهِ :

لَعَمْرُكَ مَا وَلَّيْتُ ظَهْرِي مُحَمَّداً
وَأَصْحَابَهُ جُبْناً وَلَا خِيفَةَ القَتْلِ
وَلَكِنَّنِي قَلَّبْتُ أَمْرِي فَلَمْ أَجِد
لِسَيْفِي غَنَاءً إِن ضَرَبْتُ وَلَا نَبْلِي
وَقَفْتُ فَلَمَّا خِفْتُ ضِيقَةَ مَوْقِفِي
رَجَعْتُ لِعَوْدٍ كَالْهِزَبْرِ إِلَى الشِّبْلِ (٢)



وَلَمَّا بَلَغَ هُبَيْرَةُ أَنَّ أُمَّ هَانِئٍ (رَضِيَ الله عنهَا) أَعْلَنَتْ إِسْلَامَهَا ، وَكَانَ يَأْمَلُ أَن يَعُودَ إِلَيْهَا وَلَكِنَّ أَمَلَهُ قَد انْقَطَعَ ، قَالَ أَبْيَاتٍ مِنْهَا :

وَعَاذِلَةٍ هَبَّتْ بِلَيْلٍ تَلُومُنِي
وَتعْذِلُنِي بِاللَّيْلِ ضَلَّ ضَلَالُهَا
وَتَزْعُمُ أَنِّي إِنْ أَطَعْتُ عَشِيرَتِي
سَأَرْدَى وَهَلْ يُرْدِينِي إِلَّا زَوَالُهَا

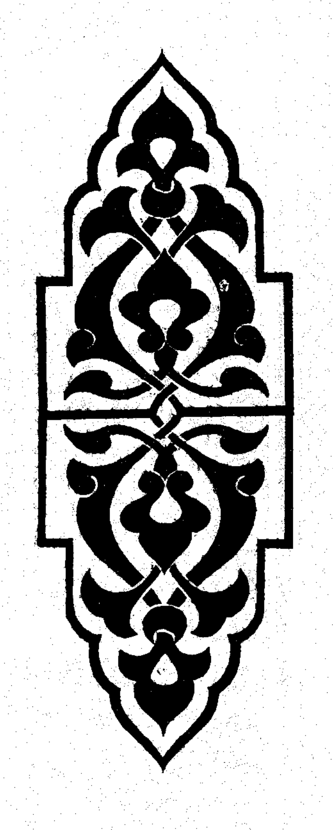
ثُمَّ يُخَاطِبُ أُمَّ هَانِئٍ (رَضِيَ الله عنهَا) فَيَقُولُ :

---

(١) راجع : (أعلام النساء ٤/١٤ - ١٦) .
(٢) **الهِزَبْرُ** : الأسد الكاسر ، **والشِّبْلُ** : ولد الأسد .

فَإِن كُنْتِ قَد تَابَعْتِ دِينَ مُحَمَّدٍ
وَقَطَّعتِ الأَرْحَام مِنْكِ حِبالهَا
فَكُونِى عَلَى أَعْلَى سَحِيقٍ بِهَضْبَةٍ
مُلَمْلَمَةٍ غَبْرَاءَ يبسَ بِلَالُهَا

لَقَدْ أَصْبَحَتْ أُمُّ هَانِئٍ (رَضِىَ الله عنهَا) حُرَّةً طَلِيقَةً ، وَقَد فَرَّقَ اخْتِلَافُ الدِّين بَيْنَهَا وَبَيْنَ هُبَيْرَةَ ، فَهِىَ مُسْلِمَةٌ ، وَهُوَ مَا يَزَالُ عَلَى شِرْكِهِ ، وَلَا عَلَيْهَا أَن تَتَزَوَّجَ مَن تَشَاءُ (١) .



خِطْبَةُ أُمِّ هَانِئٍ (رَضِىَ اللَّهُ عَنْهَا)

تَقَدَّم رَسُولُ اللهِ ﷺ يَخطُبُ أُمَّ هَانِئٍ (رَضِىَ الله عنهَا) لِنَفْسِهِ ، فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللهِ لَأَنْتَ أَحبُّ إِلَيَّ من سَمْعِى وَبَصَرِى ، وَحَقُّ الزَّوْجِ عَظِيمٌ ، فَأَخْشَى إِن أَقْبَلْتُ عَلَى زَوْجِى أَن أُضَيِّعَ بَعْضَ شَأْنِى وَوَلَدِى ، وَإِنْ أَقْبَلْتُ عَلَى وَلَدِى أَن أُضَيِّعَ حَقَّ الزَّوْجِ .

ثُمَّ أَشَارَتْ نَحْوَ وَلِيدَيْنِ بَيْنَ يَدَيْهَا .

يَا نَبِيَّ اللهِ .. إِن كُنْتُ لأُحِبُّكَ فِى الجَاهِلِيَّةِ ، فَكَيْفَ فِى الإِسْلَامِ ؟ وَلَكِنِّى امْرَأَةٌ مُصْبِيَّةٌ ، وَأَكْرَهُ أَن يُؤْذُوكَ ، كَفَى بِهَذَا رَضِيعاً وَبِهَذَا ضَجِيعاً .

لَمْ يَغْضَبِ النَّبِيُّ ﷺ مِن قَوْلِهَا ، وَلَمْ يُحَاوِلْ أَن يُرَاجِعَهَا وَإِنَّمَا قَالَ ﷺ : « خَيْرُ نِسَاءٍ رَكِبْنَ الإِبِلَ ،

---

(١) أعلام النساء (٤/١٤) .

نِسَاءُ قُرَيْشٍ ، أَحْنَاهُ عَلَى وَلَدٍ فِى صِغَرِهِ ، وَأَرْعَاهُ عَلَى بَعْلٍ فِى ذَاتِ يَدِهِ ... »[١] .

شُرْبُ فَضْلِ النَّبِىِّ ﷺ

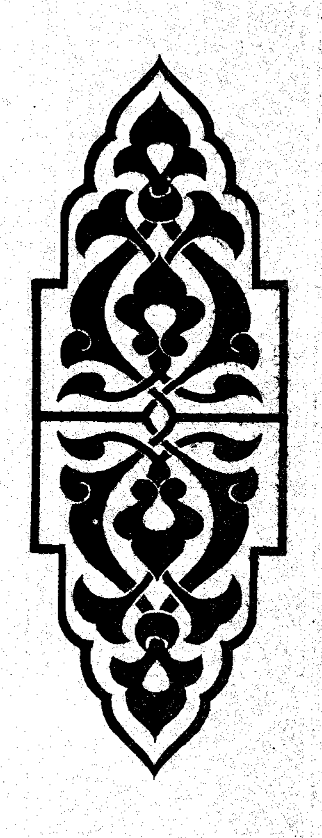
كَانَ النَّبِىُّ ﷺ فِى بَيْتِ أُمِّ هَانِئٍ (رَضِىَ الله عنهَا) وَقَدعَطَشَ فَطَلَبَ مِنْ أُمِّ هَانِئٍ (رَضِىَ الله عنهَا) كُوباً مِنَ المَاءِ ، فَلَمَّا أَتَتْ بِهِ ، شَرِبَ وَأَبْقَى قَلِيلًا مِنَ المَاءِ فِى الإِنَاءِ ، فَشَرِبَتْ أُمُّ هَانِئٍ (رَضِىَ الله عنهَا) مَا بَقِىَ فِى أَسْفَلِ الكُوبِ ، وَقَالَتْ : لَقَد شَرِبْتُ وَأَنَا صَائِمَةٌ .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : فَمَا حَمَلَكِ عَلَى ذَلِكَ ؟

فَقَالَتْ أُمُّ هَانِئٍ (رَضِىَ الله عنهَا) : مِنْ أَجْلِ سُؤْرِكَ[٢] لَمْ أَكُنْ أَدَعُهُ لِشَىءٍ لَمْ أَقْدِرْ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا قَدَرْتُ عَلَيْهِ شَرِبْتُهُ[٣] .

نُصْحٌ وَإِرْشَاد

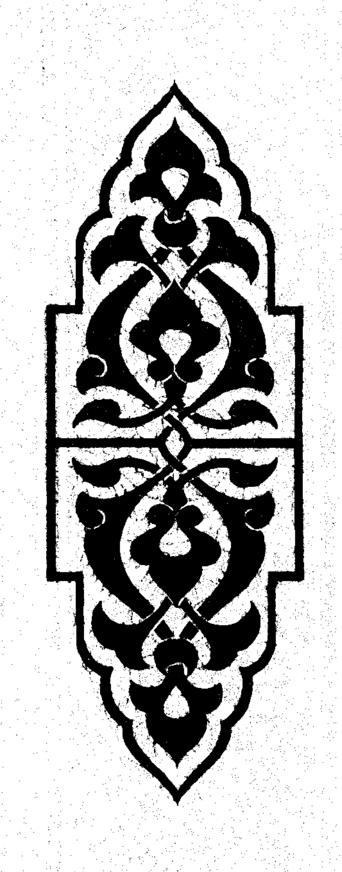
دَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْتَ أُمِّ هَانِئٍ (رَضِىَ الله عنهَا) فَوَجَدَهَا تُصَلِّى الصُّبْحَ ، فَقَالَ لَهَا : « يَا أُمَّ هَانِئٍ إِذَا أَصْبَحْتِ فَسَبِّحِى الله مِائَةً ، وَهَلِّلِيهِ مِائَةً ، وَاحْمَدِيهِ مِائَةً ، وَكَبِّرِيهِ مِائَةً ، فَإِنَّ مِائَةَ تَسْبِيحَةٍ كَمِائَةِ بَدَنَةٍ



(١) راجع : البداية والنهاية (٣٠١/٥) .
(٢) السُّؤْرُ : بقية الشىء .
(٣) أعلام النساء (١٤/٤ – ١٦) .

تَهْدِينَهَا وَمِائَةَ تَهْلِيلَة لَا تُبْقِى ذَنْباً قَبْلَهَا وَلَا بَعْدَهَا ، ثُمَّ اسْتَطْرَد رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ : لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ لَا يَسْبِقُهَا عَمَلٌ ، وَلَا تَتْرُكُ ذَنْباً » [1] .

طَلَبٌ وَاعْتِذَار



لَمَّا كَبُرَ ابْنَاهَا (رَضِىَ اللهُ عنهَا) ، وَرَأَتْ أَنَّ فِى اسْتِطَاعَتِهَا القِيَامَ بِوَاجِبِ الزَّوْجِ خَيْرَ قِيَامٍ ، عَرَضَتْ نَفْسَهَا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ .

قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : أَمَّا الآنَ فَلَا .

قَالَتْ أُمُّ هَانِئٍ (رَضِىَ اللهُ عنهَا) : لِمَاذَا يَا رَسُولَ اللهِ؟

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : لأَنَّ اللهَ تَعَالَى أَنْزَلَ قَوْلَهُ :

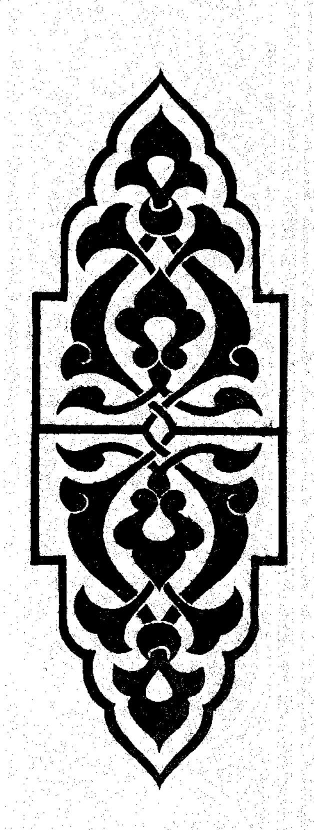
﴿ يَاأَيُّهَا النَّبِىُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِى آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ ... ﴾ [1] .

فَقَالَتْ أُمُّ هَانِئٍ (رَضِىَ اللهُ عنهَا) : لَمْ أَكُنْ أَحِلُّ لَهُ .. لَمْ أَكُنْ أَحِلُّ لَهُ ، لأَنِّى لَمْ أَكُنْ مِنَ المُهَاجِرَاتِ مَعَهُ ... كُنْتُ مَعَ الطُّلَقَاءِ .



(١) رواه ابن ماجه ك : الأدب (٣٧٩٧) بسند ضعيف ، كما فى « الزوائد » للبوصيرى (٣/١٩٠) .

(٢) سورة الأحزاب : الآية (٥٠) .



رَحِيلُ إِلَى اللَّهِ

ظَلَّتْ أُمُّ هَانِئٍ (رَضِىَ اللهُ عنهَا) عَلَى إِيمَانِهَا القَوِىِّ تُصَلِّى للهِ ، وَتَصُومُ يَوْمَهَا شَاكِرَةً اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الَّذِى وَفَّقَهَا لاتِّبَاعِ مَا جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ .

عَاشَتْ أَيِّمًا (أى : لا زوج لها) ، وَمَاتَتْ بَعْدَ أَخِيهَا عَلِىٍّ (رَضِىَ اللهُ عنهُ) بَعْدَ أَن تَوَلَّى الخِلَافَةَ حَوَالى سَنَة ٤٠ هِجْرِيَّة رَضِىَ اللهُ عنهَا ، وَرَحِمَهَا رَحْمَةً وَاسِعَةً .

★ ★ ★

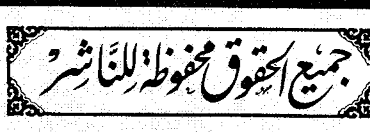
وَإِلى اللِّقَاءِ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ مَعَ ..

زينب بنت على رضى الله عنها عقيلة بنى هاشم

★ ★ ★

دَارُ الفَضِيلَةِ
لِلنشرِ وَالتوزيعِ وَالتصديرِ
الإدارة : القاهرة - ٢٣ شارع محمد يوسف القاضى - كلية البنات - مصر الجديدة - ت وفاكس : ٤١٨٩٦٦٥
المكتبة : ٧ شارع الجمهورية - عابدين - القاهرة - ت ٣٩٠٩٢٣١
الإمارات : دبى - ديرة - ص ب ١٥٧٦٥ ت ٦٩٤٩٦٨ فاكس ٦٢١٢٧٦

وكيلنا فى المملكة المغربية :
دَارُ الاعْتِصَامِ
للطباعة والنشر والتوزيع
الدحمانى عبد الكريم
35 - 33 الشارع الملكى (الأحباس) . الدار البيضاء
الهاتف 30.42.85 - الفاكس 44.45.39



دار النصر للطباعة الإسلامية
٢ - شارع نشاطى شبرا القاهرة
الرقم البريدى - ١١٢٣١

رقم الإيداع بدار الكتب ٧٦٢٤ / ١٩٩٧